MINISTÈRE DE L'ÉDUCATION NATIONALE, DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA RECHERCHE

ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar.

ʿABD AL-ǦAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)

[illegible] 709-742 / 1309-1341

ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ḫilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).

ثانيًا المصادر والمراجع الأجنبية

- Leonidas, Mavromatis, «La Serbie de Milutin entre Byzance et l'Occident», dans *Byzantion*, t. XLIII, Bruxelles, 1973, p. 120-137.
- Miller, «The Balkans, 1018-1499» *in Cambridge Medieval History*, vol. 4, Part. I, Oxford 1964.
- Pachymeris, *Michael et Andronico Palaeologis, in CSHB*, vol. 1, Bonnae 1835.
- Bréhier, *Vie et Mort de Byzance*, Paris. 1948.
- Gregoras, N., *Historiae Byzantinae, in CSHB*, Bonnae 1829.
- Janin, «La Thrace byzantine», dans *Échos d'Orient*, t. XX, 1921, p. 46-47.
- Gaudefroy Demombynes, «Une ambassade serbo-bulgare au Caire», dans *Mélanges Iorga*, Paris. 1933, p. 287-294.

ثالثًا المراجع العربية والمعربة

- بارتولد شبولر: العالم الإسلامى فى العصر المغولي، ترجمة خالد أسعد عيسى، دمشق ١٩٨٢م.
- بول كولز: العثمانيون فى أوربا، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة ١٩٩٣م.
- بينز (نورمان): الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، القاهرة ١٩٥٧م.
- حياة ناصر الحجى: العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، الكويت ١٩٩١م.
- سعيد عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام، القاهرة ١٩٩٤م.
- عمر كمال توفيق: الدولة البيزنطية، الإسكندرية ١٩٦٧م.
- فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، القاهرة ١٩٦٠م.
- ليلى عبد الجواد: الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور هرقل، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ماير: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتى، القاهرة بدون تاريخ.
- ناهد عمر صالح: «السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الإمبراطور اندرونيقوس الثانى باليولوجوس (١٣٢٨ - ١٢٨٢م)»، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة، ١٩٩٩م.

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar. ʿABD AL-ĞAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)
709-742 / 1309-1341
ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ḫilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر العربية والمعربة

- ابن اياس، أبو البركات محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م): بدائع الزهور فى وقائع الدهور. الجزء الأول، تحقيق محمد مصطفى، فيسبان ١٩٧٥م.

- ابن ايبك، أبو بكر بن عبد الله (ت٧٠٩ هـ/ ١٢٠٩م): الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر، جـ٩ من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت وريمر، القاهرة ١٩٦٠م.

- ابن حجر العسقلانى، شهاب الدين بن على (ت٨٥٣ هـ/ ١٤٤٩م): الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، جـ٢، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة ١٩٦٦م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م - ١٤٠٦م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٨١م.

- ابن ناظر الجيش، عبد الرحمن بن محب الدين محمد التميمى الحلبى: كتاب تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودلف فسلى، القاهرة ١٩٨٧م.

- أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، القاهرة، بدون تاريخ.

- عطا الله الجوينى، تاريخ جهانكشاه، مجلد أول، تصحيح محمد عبد الوهاب، ليدن ١٩٩١م.

- العمرى، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٩م):

* مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار. السفر الثالث، مخطوط مصور، ألمانيا الاتحادية، ١٩٨٨م.

* ممالك مصر والشام والحجاز واليمن، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة ١٩٨٥م.

* التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت ١٩٨٨م.

- قسطنطين السابع بورفيرجينيتوس: إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة محمود سعيد عمران، بيروت ١٩٨٠م.

- القلقشندى، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، ١٤جزء، طبعة دار الكتب، بدون تاريخ.

- مفضل بن أبى الفضائل: النهج السديد والدر الفريد، «تاريخ سلاطين المماليك»، نص بالعربية مع ترجمة بالفرنسية، ثلاثة أجزاء، نشره Blochet فى *Patrologia Orientalis*, t. XII, XIV, XX, Paris. 1991-28.

- المقريزى: تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):

* السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١ ، ٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٧ م.

* المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، بيروت بدون تاريخ.

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar. ʿABD AL-ĞAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)
709-742 / 1309-1341
ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ḫilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).

«وما زال بين ملوك هذه المملكة وبين ملوكنا قديم اتحاد، وصدق وداد من أول الدولة الظاهرية بيبرس إلى آخر وقت»[٦٥].

وقد استمر تبادل الرسل والهدايا بين الناصر محمد وأزبك طيلة عهدهما[٦٦].

وتوطدت العلاقات بين الطرفين عن طريق المصاهرة، فتزوج الناصر محمد من إحدى بنات البيت الجنكيزخانى وهى طلنباش أو طولونبيه فى عام ٧٢٠ هـ/ ١٣٢٠م[٦٧]. وكان من نتيجة هذه العلاقات الودية أن وقف الناصر محمد إلى جوار ازبك ضد خصومه وخاصة بنى عمومته مغول فارس[٦٨]. بل وأصلح بينهم فيذكر ابن خلدون: «فتوادع كل هؤلاء الملوك، واصطلحوا، ووضعوا أوزار الحرب حينا من الدهر»[٦٩].

وفى الختام نتساءل من هم هؤلاء الأعداء الذين طلب ملك البلغار مساعدة الناصر محمد ضدهم، خاصة وأنه كان تابعًا لخان القبيلة الذهبية وكانت قوة فتية فى ذلك الحين؟

الحقيقة أنه واكب إرسال سفارة البلغار إلى بلاط الناصر محمد بن قلاوون ظهور قوة فتية جديدة على مسرح الحوادث وهى قوة الأتراك العثمانيين الذين نجحوا فى إقامة دولة لهم منذ بدايات القرن الرابع عشر فى آسيا الصغرى على حساب البيزنطيين منتهزين فرصة انشغالهم بالصراع على السلطة والعرش[٧٠].

ووقفت هذه الدولة حاجزًا بين سراى - عاصمة مغول القفجاق - وبين القاهرة، كما أصبحت خطرًا يهدد مغول القفجاق ومغول فارس بل والقسطنطينية نفسها، وهددوا بلاد البلغار على حوض الفولجا وكذلك على حوض الدانوب، ولعل هذا ما دفعهم لإرسال سفارة لبلاط الناصر محمد بن قلاوون طالبين العون والمساعدة؛ يرجون وساطته لدى السلطان العثمانى اورخان ليوقف إغارته على شواطئ بلاد البلغار.

اتضح من العرض السابق أن ثمة علاقات مودة وصداقة ومحبة ربطت بين دولة الصرب وبين البلغار سواء أن كانوا بلغار الدانوب أم بلغار الفولجا بسلطنة المماليك البحرية، وقد ظهرت هذه العلاقات بجلاء خلال سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة.

[٦٥] العمرى : التعريف، ص٧٠؛ وانظر أيضًا، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٤، ص٤٥١.

[٦٦] لمزيد من التفاصيل انظر، المقريزى: السلوك، جـ٢، ق١، ص١٤٥ ، ١٦٣ ، ١٦٤؛ المفضل بن أبى الفضائل :النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، جـ٣، ص٥٢ ، ٥٣ ؛ حياة الحجى: العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، ص٣٢-٤٤.

[٦٧] لمزيد من التفاصيل انظر، ابن ايبك: الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر، ص٣٠٢ ، ٣٠٣-٣٠٤ ؛ المقريزى: السلوك، جـ٢، ق١، ص٢٠٤-٢٠٥؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص ٩٢٦؛ الرمزى: تلفيق الأخبار، ص٥٢٤-٥٢٥؛ حياة الحجى: العلاقات، ص٣٧. وعن ترجمة طلنباش، انظر، ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، جـ٢، ص٣٢٩-٣٣٠.

[٦٨] انظر، ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص ٩٢٧؛ حياة الحجى: العلاقات، ص٤٠.

[٦٩] ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٩٢٧.

[٧٠] لمزيد من التفاصيل انظر، ناهد عمر صالح: السياسة الخارجية، ص٩٤-٧٩.

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar.   ʿABD AL-ĞAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)
709-742 / 1309-1341
ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ẖilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).

وذكر العمرى كذلك فى موضع آخر، «وبلاده فى متاخمة مملكة صاحب السراى[٥٨] وربما أنه يظهر لصاحب السراى الانقياد والطاعة»[٥٩].

لذلك من الخطأ أن نتصور أن استفان حاكم الصرب هو الذى أرسل سفارة عام ٧٣١هـ/ ١٣٣١م إلى بلاط الناصر محمد بن قلاوون رغم أن هناك ثمة علاقات مودة ربطت بين الصرب ومصر المملوكية كما سبق أن أشرنا[٦٠]، ورغم أن البلغار قد خضعوا للصرب، وخاصة بلغار الدانوب كما سبق أن أوضحنا[٦١]. لكن من المحتمل أن كاتب ديوان الإنشاء، لم يعرف من يكون ملك البلغار والسرب، وإنما علم باسمه أو بلقبه من سفراء مصر فى البلاط البيزنطى أو فى بلاط خان مغول القبيلة الذهبية، الذين ربطتهم ببلغار الدانوب وبلغار الفولجا علاقات وثيقة.

ويرى جودفرى ديمومبين Gaudefroy Demombynes أن كاتب الإنشاء ربط بين اسم الصرب والبلغار بمهارة خاصة حتى يدخل هذا الاسم شبكة العلاقات الدبلوماسية مع السلطان الناصر محمد بن قلاوون[٦٢].

والباحث لا يؤيد ديمومبين فى رأيه هذا إذ سبق ودخل الصرب والبلغار من قبل دائرة العلاقات الدبلوماسية مع الناصر وكان لهم رسم مكاتبة فى ديوان الإنشاء التابع لمصر المملوكية على نحو ما ذكرنا[٦٣]. وما قام به كاتب الإنشاء من مزج اسم الصرب بالبلغار ليس غريبًا فى ظل خضوع بلغار الدانوب للصرب وتبعتهم لهم.

صفوة القول إن الذى أرسل سفارة ٧٣١هـ/ ١٣٣١م إلى بلاط مصر المملوكية هو ملك أو حاكم بلغار الفولجا المسلمين وهو تابع لازبك (٧١٢-٧٤٢هـ / ١٣١٣-١٣٤٢م) حاكم مغول القفجاق، والدليل على ذلك أن رسم المكاتبة إليه كان لحاكم مسلم[٦٤] وكذلك الخلعة التى أرسلها له السلطان الناصر توضح أنه كان فى المرتبة الثانية. ومن ثم أرسل سفارته إلى بلاط الناصر بحكم تبعيته لأزبك خان مغول القفجاق الذين كانت تربطهم ببلاط مصر المملوكية علاقات وثيقة، بل ومصاهرات كذلك، منذ عصر السلطان الظاهر بيبرس وحتى عصر الناصر محمد، وقد عبر العمرى عن ذلك بقوله:

[٥٨] السراى هى عاصمة مغول القبيلة الذهبية، وتقع على الضفة الشرقية لنهر الفولجا قرب بحر قزوين. لمزيد من التفاصيل انظر:
القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٤، ص٤٥٧؛ بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ص ١٨٨؛ الرمزى: تلفيق الأخبار، ص٣٧٩؛ رجب عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص١١٣، حاشية٣٢.

[٥٩] العمرى: التعريف، ص٧٥.

[٦٠] انظر ما سبق، ص٦٧–٦٨.

[٦١] انظر ما سبق، ص٦٥.

[٦٢] Gaudefroy Demombynes, « Une ambassade serbo-bulgare au Caire » dans *Mélanges Iorga*, Paris 1933, p. 294.

[٦٣] انظر ما سبق، ص٦٨–٦٩.

[٦٤] انظر ما سبق، ص٦٨.

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar. ʿABD AL-ĞAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)
709-742 / 1309-1341
ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ḫilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).

وليس أدل على وجود علاقات ربطت بين بلغار الدانوب المسيحيين وبين مصر المملوكية مما أورده صاحب تثقيف التعريف من رسم مكاتبة لهم فى قطع الثلث بقلم التوقيعات ونصه.

«أطال الله تعالى بقاء حضرة الملك الجليل، المكرم، المبجل، الهمام، الضرغام، الباسل، الدوقس، الانجالوس الكمنينوس فلان، عماد النصرانية، ...، فخر الأمة العيسوية، ذخر الملة المسيحية، فارس البحور، حامى الحصون والثغور.

ثم الدعاء، أصدرنا هذه المكاتبة ...، تعريفه صاحب البلغار[٥٣]. ويلاحظ من خلال رسم المكاتبة السابق أنه لحاكم مسيحى.

أما عن بلغار الفولجا فكانوا مسلمين[٥٤]، ودمرت دولتهم على يد مغول القفجاق أو مغول القبيلة الذهبية فى عام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م، واستولى المغول على حاضرتهم مدينة بلغار قهرًا وقسرًا، تلك الحاضرة، التى كانت مشهورة بمناعة أسوارها وحصونها، وساقوا أهلها أسرى[٥٥].

وأعلن ملك بلغار الفولجا خضوعه لمغول القبيلة الذهبية فى العام التالى ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م لعجزه عن مقاومتهم، وعقد معهم صلحًا ينص على أن يتركوا له جميع البلاد والأماكن التى كانت تحت تصرفه وفى يده على أن يضرب السكة باسمهم، وأن تكون مملكة بلغار الفولجا جزءً من ممالكهم وأميرها منسوب إليهم[٥٦]. وهذا يعنى خضوع بلغار الفولجا لمغول القبيلة الذهبية، وقد ظلوا على هذه الحالة من الخضوع حتى عهد حاكم المغول ازبك (٧١٢-٧٤٢هـ / ١٣١٣-١٣٤٢م) وخلفائه.

ولعل هذا ما يفسر لنا طبيعة الألقاب التى وردت فى رسم المكاتبة لصاحب البلغار، وكذلك الخلع التى أرسلها السلطان الناصر محمد بن قلاوون إليه، فهى تظهر كما سبق أن ذكرنا أن صاحبها يحتل المرتبة الثانية وأنه تابع لشخص آخر، وليس أدل على ذلك من عبارة العمرى: «وهم يدارون سلطان القبجاق، وذلك لعظمة سلطانه عليهم، وأخذه بخناقهم لقربهم منه»[٥٧].

[٥٣] ابن ناظر الجيش: تثقيف التعريف، ص٣٠.
وانظر أيضًا، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٨، ص٤٩

[٥٤] عن قيام دولة بلغار الفولجا وتاريخها انظر، أحمد محمود حسن عامر: «تاريخ بلغار الفولجا المسلمين فى شرق أوربا إبان العصور الوسطى». بحث منشور فى مجلة «التاريخ والمستقبل»، عدد يوليو٢٠٠٠ ، ص٣٧٧-٢٩١.

[٥٥] لمزيد من التفاصيل انظر، عطا الله الجوينى: تاريخ جهانكشاه، مجلد أول، تصحيح محمد عبد الوهاب، ليدن ١٩١١م، ص٢٢٢ ، ٢٢٤؛ فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص١٨٦-١٨٧؛ بارتولد شبولر: العالم الإسلامى فى العصر المغولى، ص٣٥ ، ٣٦؛ السيد الباز العرينى: المغول، ص١٨٠.

[٥٦] الرمزى: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار فى وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، جـ١، ص٣٠٦ ، ٣٣٦؛ رجب عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، ص١٠٩.

[٥٧] العمرى: مسالك الأبصار، مخطوط مصور، ورقة٨٩.

وتحدث القلقشندى عن ملابس التشريف هذه وذكر كذلك أنها لأصاغر أمراء المئين ومن يلحق بهم، وكذلك أصحاب الوظائف المختصة بذلك كالجوكندار والولاة ومن يجرى مجراهم[٥٠]. وهذا يعنى أن هذه التشاريف والخلع تمنح لمن هم فى المرتبة الثانية.

ومن خلال العرض السابق يستطيع الباحث أن يتوصل إلى:

إن سفارة عام٧٣١ هـ/ ١٣٣١م المرسلة إلى بلاط السلطان الناصر محمد بن قلاوون كانت من قبل أمير البلغار وصاحبها وليس من قبل أمير السرب والبلغار وهذا ما ذكره المقريزى صراحة.

وقد يظن البعض أن المقصود بأمير البلغار هنا هو أمير بلغار الدانوب الذى كان يخضع فى تلك الآونة لملك الصرب. خاصة وأن البلغار أسسوا فى العصور الوسطى دولتين أحدهما عرفت باسم بلغار الدانوب والأخرى عرفت باسم بلغار الفولجا. أما عن بلغار الدانوب فقد ساروا فى فلك الدولة البيزنطية وتوسعوا على حسابها، وارتبطوا معها بعلاقات صداقة ومودة وعداء كذلك. وقد حاول حكام بلغار الدانوب كسب ود مصر وضمها إلى صفهم فى صراعهم مع بيزنطة.

فقد حدث فى عهد السلطان الظاهر بيبرس وبالتحديد فى عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، إن تطلعت مارية ملكة بلغار الدانوب للتحالف مع مصر وسلطانها الظاهر بيبرس ضد الإمبراطور البيزنطى ميخائيل باليولوجوس (١٢٦١-١٢٨٢م) إذ يذكر المؤرخ البيزنطى باخمير Pachymeris[٥١].

إن مارية ارسلت سفارتين فى عام ١٢٧٦ م أحدهما إلى بطريك بيت المقدس لتستعين به على تحريض سلطان مصر على الإمبراطور ميخائيل باليولوجوس، والأخرى إلى بلاط السلطان الظاهر بيبرس رأسًا، وكانت مفاجأة السلطان بهذه السفارة والسفراء البلغار عظيمة، لأنه لم يسمع قط من أسلافه أنهم استقبلوا أمراء مثلهم من قبل، لذا شك السلطان فى أمرهم، وأعادهم إلى بلادهم، ولم يقبل التحالف معهم ولا مع مارية لصداقته للإمبراطور البيزنطى ميخائيل باليولوجوس[٥٢].

[٥٠] القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٤، ص٥٢-٥٤.

[٥١] Pachymeris, *Michael et Andronico Palaeologis, in CSHB*, vol. I, Bonnae 1835, p. 428-429.

[٥٢] عن العلاقات التى ربطت بين بيبرس والدولة البيزنطية انظر، ليلى عبد الجواد: «علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية» بحث منشور، فى مجلة كلية الآداب، القاهرة ١٩٨٨، ص ٥٨ وما يليها.

يتضح مما ذكره العمرى فى التعريف أنه قدم كلمة البلغار على كلمة السرب فذكر (صاحب البلغار والسرب) وليس (صاحب السرب والبلغار). كذلك ذكر أن بلاده كانت متاخمة أى مجاورة لصاحب السراى أى لحاكم مغول القفجاق المسلمين، وأنه كان ينقاد إليهم وأنه يدين لهم بالطاعة والتبعية. وهذا لا ينطبق على السرب بأى حال من الأحوال، الذين اعتنقوا المسيحية كما اتضح من رسم المكاتبة لهم الذى أورده ابن ناظر الجيش فى التثقيف[٤٥].

كذلك اتضح من رسم المكاتبة لصاحب البلغار والسرب، أنه كان حاكمًا مسلمًا، فقد أورد العمرى رسم المكاتبة إليه فى جملة من يكاتب من ملوك الإسلام شرقًا وغربًا وبُعدًا وقربًا على حد تعبيره.

وبالنظر إلى رسم المكاتبة، يلاحظ على الألقاب التى وردت به ومنها لقب «الجناب الكريم» أن هذا اللقب كان يلقب به المماليك الذين يوضعون فى الطبقة الأولى من المرتبة الثانية، مثل الأمراء المقدمين، وأمراء الطبلخاناه[٤٦]، وهى تكون على النحو التالى الذى يذكره القلقشندى[٤٧]:

«أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم». وكان يكتب بهذه الصيغة عن نائب الشام إلى أمراء الطبلخاناه بالشام، ونائب القدس كذلك. ونائب بعلبك، ومتولى صيدا، وأمراء الطبلخاناه بحلب ... وأمير حاجب بصفد وهكذا.

ويتضح أيضًا من الخلع وملابس التشريف التى خلعها أو قدمها السلطان الناصر محمد لملك البلغار والسرب، أنها تمنح لأصاغر أمراء المئين[٤٨] ومن يلحق بهم كما ذكر العمرى فى حديثه عن الخلع.

فهو يذكر حرفيًا «... ودون هذه فى الخلع نوع يسمى الطرد وحش يعمل بدار الطراز بالإسكندرية وبمصر ودمشق ... وربما كبر بعضهم فركب عليه طرازًا مزركشًا بالذهب وعلى فرو السنجاب والقندس ... وكلاليب وشاش ... وهذه لأصاغر أمراء المئين ومن يلحق بهم»[٤٩].

[٤٥] انظر ما سبق ص٦٧.

[٤٦] أمراء الطبلخاناة : أمير طبلخاناه مرتبة من مراتب أصحاب السيوف فى مصر المملوكية صاحبها يلى أمير مائة فى الدرجة، وسمى بذلك لاحقيته فى دق الطبول على أبوابه كما يفعل السلطان وأمراء المئين. انظر سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص٤٠٠.

[٤٧] القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٨، ص٢٠.

[٤٨] أمراء المئين: ومفردها أمير مائة وهى أعلى مراتب الأمراء فى عصر المماليك، وهى خاصة بأرباب السيوف، ويكون فى خدمة صاحبها مائة مملوك. انظر، عاشور: العصر المماليكى، ص٤٠١.

[٤٩] العمرى: مسالك الأبصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ص٧٠-٧١.

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar. ʿABD AL-ĞAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)
ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ḫilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).

وأضاف العمرى فى التعريف: «وجهز له أيضًا الخيل المسرجة الملجمة»[٣٧].

هذا فى حين ذكر المقريزى فى حوادث نفس العام ٧٣١هـ/ ١٣٣١م وفى شهر ذى الحجة تحديدًا «وفيه قدمت رسل ملك البلغار بكتابه يترامى على مراحم السلطان، ويسأل أن يبعث إليه سيفًا وسنجقًا ليقهر به إعداءه. فأكرمت رسله، وجهزت له خلعة طرد وحش مقصب بفرو سنجاب مقندس على مفرج إسكندرى، وكلاليب ذهب، وسيف محلى، وسنجق سلطانى أصفر مذهب»[٣٨].

وبمقارنة نصيّ العمرى والمقريزى يتضح أن هناك فارق فيما بينهما وهو أن العمرى ذكر أن الرسل الذين جاءوا إلى بلاط الناصر محمد بن قلاوون فى عام ٧٣١هـ/ ١٣٣١م كانوا رسل صاحب السرب والبلغار، فى حين ذكر المقريزى أنهم «رسل ملك البلغار».

وهذا ما يجعل الباحث فى حيرة من أمره. ولكن يمكن أن نعتبر المقريزى أدق فى هذا الاستخدام وذلك لأن العمرى نفسه فى كتابه التعريف[٣٩] تحدث:

أولاً: عن صاحب البلغار والسرب فذكر:

«وبلاده فى متاخمة مملكة صاحب السراى، وربما أنه يظهر لصاحب السراى الانقياد والطاعة، وكانت رسله قد وصلت إلى الأبواب السلطانية، تطلب له الأولوية والأعلام، فجهزت إليه مع ما جرت العادة بمثله من التشريف[٤٠]، والسيفين، والشعار[٤١]، والخيل المسرجة الملجمة»[٤٢].

ثانيًا: ذكر العمرى فى التعريف رسم المكاتبة لصاحب البلغار والسرب على النحو التالى:

«أعز الله نصر الجناب العالى الكريم الملكى، الأجلى، الكبيرى العالمى، العادلى، المجاهدى، المؤيدى، المرابطى، المثاغرى، الأوحدى، سيف الإسلام والمسلمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدم العساكر، جمال الملوك والسلاطين، ذخر أمير المؤمنين»[٤٣]. فهؤلاء جملة من يكاتب من ملوك الإسلام شرقًا وغربًا وبعدًا وقربًا[٤٤].

[٣٧] العمرى: التعريف، ص٧٥.
[٣٨] المقريزى: السلوك، جـ٢، ق٢، ص٣٣٥-٣٣٦.
[٣٩] العمرى: التعريف، ص٧٥.
[٤٠] التشريف والجمع تشاريف وهى ملابس خاصة ينعم بها السلطان على الأمراء والنواب وذوى والوظائف العالية. وهى أنواع. لمزيد من التفاصيل انظر، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٤، ص٥٢-٥٤.
[٤١] الشعار يقصد به شعار السلطنة، وهو أنواع الملابس والأدوات والترتيبات التى كان السلطان يظهر بها فى المواكب مثل موكب السلطنة، وموكب صلاة العيدين وغيرها ولعل المقصود بالشعار هنا هو تلك الملابس الخاصة بالسلطان التى كان يعدها فى المناسبات ليخلعها على أكابر الأمراء، على أنها من ملبوسه الخاص، انظر، التعريف، ص٧٥، حاشية ٥؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٤، ص٥٢-٥٤.
[٤٢] تعنى الخيل المسرجة الملجمة رغبة الناصر محمد فى أن يظهر له ملك السرب والبلغار الطاعة والانقياد.
[٤٣] العمرى: التعريف، ص٧٥.
[٤٤] العمرى: التعريف، ص٧٦.

ومما يؤكد على أن هناك علاقات ربطت بين الصرب ومصر فى عصر الناصر محمد ابن قلاوون، أن ديوان الإنشاء بمصر كان يحتوى على رسم الكتابة لملك الصرب، فقد ذكر صاحب التثقيف «مكاتبة صاحب السرب» بل وأكثر من ذلك حدد اسمه كذلك فقال وهو «استفانوس فراكس». وذكر كذلك أنه يكون فى قطع الثلث، ونصه:

«... إلى حضرة الملك الجليل، المكرم، البطل الباسل، الهمام، السميدع، الضرغام ... فخر الملة المسيحية، ذخر الأمة النصرانية، عماد بنى المعمودية، صديق الملوك والسلاطين، أدام الله نعمته وحرس مهجته ... تعريفه صاحب السرب»[٢٨].

ويحدثنا العمرى فى كتابه مسالك الأبصار[٢٩] عن سفارة أرسلها صاحب السرب والبلغار فى عام ٧٣١هـ/ ١٣٣١م بكتاب إلى سلطانها الناصر محمد بن قلاوون وفيما يلى نصه:

«قلت ولقد كان فى السرب والبلغار من قديم دار إسلام ومستقر إيمان ... فأما الآن فقد تبدلت بإيمانها كفرًا، وتداولتها طائفة من عباد الصليب، ووصلت منهم رسل إلى حضرة سلطان مصر سنة إحدى وثلاثين بكتاب إلى سلطانها من صاحب السرب والبلغار، يعرض نفسه على مودته ويسأل منه سيفًا يتقلده وسنجقا[٣٠] يقهر أعداؤه به.

فأكرم رسوله واعد نزله، وجهز له معه خلعة كاملة: طرد وحشى[٣١] بقصب بسنجاب مقندس[٣٢] على مفرج[٣٣] إسكندرى وكلوته[٣٤] زركشى، وشاس بطرزين رَقْم[٣٥] ومنطقة ذهب، وكلاليب[٣٦] ذهب، وسيف محلى، وسنجق سلطانى أصفر مذهب».

[٢٨] انظر، ابن ناظر الجيش: تثقيف التعريف، تحقيق رودلف فسلى، القاهرة ١٩٨٧، ص ٣٦-٣٧؛ وانظر أيضاً، العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص٨٣-٨٤؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٨، ص٤٩-٥٢.

[٢٩] العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، السفر الثالث مخطوط مصور، ألمانيا الإتحادية، ١٩٨٨، ص ٨٩؛ وانظر أيضًا: مسالك الأبصار، الذى نشره كاترمير فى:
Notices et extraits des manuscrits de la bibliothèque du roi, t. XIII, p. I, Paris 1836., p. 270-271.

[٣٠] السنجق وجمعه سناجق وهى رايات صفر صغار، تربط بطرف الرماح ويحملها السنجقدار. انظر، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٤، ص٨، جـ٥، ص٤٥٦-٤٥٨.

[٣١] طرد وحش كان هذان اللفظان يطلقان على نوع من قماش حرير منقوش بمناظر الوحش والصيد والطرد. انظر، المقريزى: السلوك، جـ١، ص٧٨٨، حاشية ٢.
وكان هذا القماش يصنع بدار الطراز التى كانت بالإسكندرية والقاهرة ودمشق، انظر، ماير: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتى، ص١٠٦.

[٣٢] مقندس ويقال قندس وهو قماش منسوج من فراء القندس وهو كلب البحر - وغيره من الفراء. انظر: السلوك، جـ٢، ق٢، ص٣٣٦، حاشية٢

[٣٣] المفرج من الخلع ما كان مفتوحًا، انظر: السلوك، جـ٢، ق١، ص١٦٤، حاشية ٧.

[٣٤] كلوته: غطاء الرأس، طاقية صغيرة تلبس وحدها أو بعمامة.

[٣٥] الشاش ما يلف حول غطاء الرأس من قماش، والمراد بالشاش الرقم ما كان موصولاً به طرفان من حرير أبيض مرقومان بألقاب السلطان، مع نقوش باهرة من الحرير الملون . انظر، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٥٢؛ السلوك، جـ٢، ص٣٣٦، حاشية ٤.

[٣٦] وكلاليب مفردها كلاب وهى المشابك المستخدمة فى تحلية الكلوتة. انظر، صبح الأعشى: جـ٤، ص٥٢؛ السلوك، جـ٢، ق٢، ص٣٣٦، حاشية ٦؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى، القاهرة ١٩٩٤، ص٤٥٠.

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar. ʿABD AL-ĞAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)
ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ḫilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).

آمنين على أنفسهم وأموالهم . ويورد القلقشندى [٢٧] نص هذا الأمان الذى أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بكتابته لملك الصرب استفان، وهو من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء. ونصه على النحو التالى بعد البسملة والحمدلة والصلاة على رسول الله.

«ولما كانت حضرة الملك الجليل، المكرم، المبجل، العزيز، الموقر، «استيفانوس فراكس»: كبير الطائفة النصرانية، جمال الأمة الصليبية، عماد بنى المعمودية، صديق الملوك والسلاطين، صاحب السرب - أطال الله بقاءه - قد شمله إقبالنا المعهود، ووصله إفضالنا الذى يحجز عن ميامنه السوء وينجز الوعود - اقتضى حسن الرأى الشريف أن نيسر سبيله، ونوفر له من الإكرام جسيمه كما وفرنا لغيره من الملوك مسوله؛ وأن يمكن من الحضور هو وزوجته ومن معهما من أتباعهما إلى زيارة القدس الشريف، وإزالة الأعراض عنهم، وإكرامهم ورعايتهم، واستصحاب العناية بهم، إلى أن يعودوا إلى بلادهم، آمنين على أنفسهم وأموالهم، ويعاملوا بالوصية التامة، ويواصلوا بالكرامة والرعاية إلى أن يعودوا فى كنف الأمن وحريم السلامة؛ وسبيل كل واقف عليه أن يسمع كلامه، ويتبع إبرامه، ولا يمنع عنهم الخير فى سير ولا إقامة، ويدفع عنهم الأذى حيث وردوا أو صدروا فلا يحذروا إلمامه؛ والله تعالى يوفر لكل مستعين من أبوابنا أقساط الأمن وأقسامه، ويظفر عزمنا المحمدى بالنصر السرمدى حتى يطوق الطائع والعاصى حسامه. والعلامة الشريفة أعلاه حجة فيه، والخير يكون إن شاء الله تعالى».

يتضح من نص الأمان السابق أن ثمة علاقات مودة وصداقة ربطت بين ملك الصرب وسلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون، وإلا لما تطلع ملك الصرب إلى مراسلة الناصر محمد بن قلاوون وطلب منه الأذن بزيارة القدس الشريف الواقعة فى دائرة سلطانه. وقد كتب له الناصر محمد أمان يسمح له فيه بزيارة بيت المقدس هو وزوجته وأتباعه فى أمن وأمان ودون أن يتعرض لهم أحد بسوء، وذلك بناء على طلبه، وتلبية لرغبته هذه ولكن لم يشر القلقشندى ولا غيره من المصادر المعاصرة إلى التاريخ الذى وصلت فيه سفارة ملك الصرب إلى مصر؛ ولا الذى كتب فيه الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء نص الأمان السابق.

[٢٧] القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، جـ١٣، ص٣٢٧-٣٢٨.

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar. ʿABD AL-ĞAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)
709-742 / 1309-1341
ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ḫilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).

ولم يتوقف نجاح الصرب عند هذا الحد بل واصلوا توسعهم على حساب جيرانهم البلغار مستغلين ما ألم بهم من ضعف. فمنذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادى بدأ الضعف ينخر فى جسد الدولة البلغارية، وأصبحت تعتمد كليًا على الصرب بعد أن أصبحت دولتهم أقوى دولة فى البلقان[٢٢]. وعندما تولى ميخائيل شيشمان (١٣٢٣-١٣٣٠م) العرش البلغارى وقع تحت تأثير النفوذ السياسى للصرب، وتزوج من آنا ابنة ميلوتين ملك الصرب [٢٣] ولكنه ما لبث أن طلقها وتزوج من ثيودورا أخت الإمبراطور البيزنطى اندرونيق الثالث (١٣٢٨-١٣٤١م)؛ وكانت هذه الزيجة تعنى تحالف بلغاريا مع بيزنطة ضد الصرب وحاكمهم اروش الثالث. وهاجم البلغار وحلفائهم البيزنطيين الصرب، ولكن اسفر الهجوم عن هزيمة البلغار ومقتل حاكمهم ميخائيل فى معركة فيلبوجد Velbuzd أو Velbujd فى ٢٨ يونيه عام ١٣٣٠م[٢٤].

وبهزيمة البلغار فى معركة فيلبوجد، أصبحوا خاضعين لملك الصرب، وأصبح دورهم ثانويًا فى جزيرة البلقان، خاصة بعد أن توج على عرشهم حنا استفان ابن ميخائيل شيشمان من زوجته الصربية إمبراطورًا فى ترنوفو، مما زاد من تبعية البلغار للصرب وخضوعهم لهم[٢٥].

وسرعان ما تحولت بلغاريا إلى كيان تابع للصرب خاصة فى عهد استفان دوشان Stephan Dushan ابن اروش الثالث وخليفته، فقد واصل استفان فتوح الصرب وتوسعهم فى الخارج، فاخضع خلال أعوام (١٣٣١-١٣٣٥م) جميع مقدونيا، وسالونيك، وبسط سلطانه على تساليا والبانيا وابيروس، وقام بتوحيد كافة البلاد الواقعة فى شبه جزيرة البلقان تحت حكمه؛ بل ووصل بحدود ممتلكاته إلى سواحل البحر المتوسط المواجه لجزيرة كورفو؛ وذلك بفضل براعته السياسية وإرادته الحديدية[٢٦].

وتطلع استفان دوشان ملك الصرب لزيارة بيت المقدس، ومن أجل هذا الغرض ارسل سفارة إلى سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون يطلب منه أمان له ولزوجته، ولمن معه من الأتباع عند طلبهم التمكين من زيارة القدس الشريف، إلى حين عودتهم

[٢٢] لمزيد من التفاصيل عن اضمحلال بلغاريا وضعفها انظر: Miller, «The Balkans, 1018-1499», *in CMH*, vol. 4, I, p. 536-537.

[٢٣] Miller, «The Balkans», p. 542.

[٢٤] Miller, «The Balkans», p. 543. عمر كمال توفيق: الدولة البيزنطية، ص١٨٣.

[٢٥] Miller, «The Balkans», p. 543.

[٢٦] بينز: الإمبراطورية البيزنطيـة، ص٣٠٢ ، ٣٠٣ ، بول كولز، العثمانيون فى أوربا، ص٣٠-٣١. عمر كمال توفيق: الدولة البيزنطية، ص١٨٤. Miller, «The Balkans», p. 537.

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar. ʿABD AL-ĞAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)
ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ẖilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).

ونظرًا لانشغال الإمبراطور البيزنطى فى ذلك الوقت بحروبه ضد الأمراء التركمان[١٦] لذا آثر مهادنة ملك الصرب ميلوتين واعترف فى عام ١٢٩٨ م بما حصل عليه من أراض بيزنطية. وبذلك أصبحت دولة الصرب تحتل مركز القيادة بين دول شبه جزيرة البلقان[١٧].

ولم تلبث العلاقات أن توثقت بين الصرب والدولة البيزنطية، وحدث تحالف وثيق بينهما، والتقت أهدافهما معًا فبيزنطة كانت فى حاجة ماسة - فى ذلك الحين - إلى مساعدة الصرب للوقوف فى وجه التركمان والأتراك والقضاء عليهم، وكان ميلوتين فى حاجة ماسة إلى صداقة بيزنطة حتى يضمن بقاءه هو وأفراد أسرته على العرش[١٨].

وتوطدت العلاقات بين الصرب وبيزنطة بزواج ابنة الإمبراطور وتدعى سيمونيس Simonis من ميلوتين حاكم الصرب فى عام ١٢٩٩م[١٩].

واستمرت علاقات المودة تربط الصرب ببيزنطة، إذ ارسل الإمبراطور اندرونيقوس الثانى سفارة فى عام ١٣١٢م إلى ميلوتين حاكم الصرب يطلب منه مساعدته فى إنقاذ المسيحية من التركمان، فأجابه ميلوتين إلى ذلك، وأرسل إليه ألفى فارس صربى لمساعدته[٢٠].

غير أن الحال تبدلت فى عهد ابن ميلوتين وخليفته وهو استفان اروش الثالث ديكانسكى Stefan Urôs III Decanski (١٣٢٢ - ١٣٣٠م) الذى سعى للتحالف مع خصوم بيزنطة من أجل تحقيق مكاسب على حسابها. وهذا ما دفع الإمبراطور اندرونيق الثانى لأن يرسل سفارة إلى اروش الثالث، على رأسها المؤرخ البيزنطى نقفور جريجوراس فى عام ١٣٢٧م للتفاوض معه، وقد كللت جهود هذه السفارة بالنجاح، وتوصلت إلى عقد معاهدة صداقة مع الإمبراطور اندرونيق الثانى ضد حفيده اندرونيق الثالث. وعادت علاقات المودة والصداقة تخيم من جديد على الأجواء الصربية البيزنطية[٢١].

[١٦] لمزيد من التفاصيل عن علاقة اندرونيقوس الثانى بالتركمان انظر، ناهد عمر صالح: السياسة الخارجية، ص ٦١ وما يليها.

[١٧] عمر كمال توفيق: تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٨٣-١٨٤؛ بينز: الإمبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، القاهرة ١٩٥٧ ، ص٣٠٢ - ٣٠٣؛ بول كولز: العثمانيون فى أوربا، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ص٣٠-٣١.

[١٨] لمزيد من التفاصيل انظر:
Leonidas, Mavromatis, *La Serbie de Milutin entre Byzance et l'Occident*, p. 120-137.
Janin, «La Thrace Byzantine», dans *Échos d'Orient*, t. 20, p. 120-121.

[١٩] لمزيد من التفاصيل انظر، ناهد عمر صالح: السياسة الخارجية، ص١٨٦-١٨٨.

[٢٠] Gregoras, *Historiae*, vol. I, p. 263-269.

[٢١] Gregoras, *Historiae*, vol. I, p. 378.
وانظر أيضاً، ناهد عمر صالح: السياسة الخارجية، ص١٩١.

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar. ʿABD AL-ĞAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)
709-742 / 1309-1341
ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ḫilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).

واسعة ليسكنوا فيها، وكانت هذه الأرض جزءً من ثغر سالونيك، وأصبح يطلق عليها اسم Servie أو صربيًا Serbia، واكتسبت منهم هذه التسمية منذ ذلك الحين[8].

ولم تكن الأرض التى عاش عليها الصربيون خصبة لذلك قرروا العودة إلى وطنهم، غير أنهم قرروا بعد أن عبروا الدانوب الاستقرار فى شبه جزيرة البلقان، وسمح لهم الإمبراطور هرقل بذلك، ومنحهم الأراضى المعروفة الآن باسم صربيًا، وسرعان ما اعتنقوا المسيحية، وظلوا مرتبطين بالدولة البيزنطية تابعين لها[9].

وبدأت دولة الصرب تنمو وتزدهر ويذيع صيتها فى الآفاق منذ النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى وفى عهد حكامها اروش الأول Uros I (١٢٤٣-١٢٧٦م) ودراجوتين Dragutin (١٢٧٦-١٢٨٢م) واروش الثانى ميلوتين Uros II Milutin (١٢٨٢ - ١٣٢١م). وقد سعى هؤلاء الحكام إلى توسيع رقعة دولتهم على حساب كل من البلغار الذين انتابهم الضعف بسبب الحروب الأهلية التى قامت بينهم ومزقتهم شر ممزق، وكذلك على حساب البيزنطيين نتيجة لتدهور مركز بيزنطة فى القرن الثالث عشر؛ فغزا اروش الأول الجزء الأعلى من وادى الفردار[10]، أما ميلوتين فقد احتل اوسكوب ومراكز أخرى حتى وصل إلى الأرخبيل، ووضع يده على أوخريدا Ochrida[11] وبريليب Prilep[12]، ثم واصل ميلوتين هجماته على الأراضى البيزنطية فغزا شمال البانيا فى عام ١٢٩٦ - ١٢٩٧ م واستمر فى توسعه داخل مقدونيا[13]. وقام بأعمال السلب والنهب كما يذكر المؤرخ البيزنطى جريجوراس Gregoras[14] وعجز القائد البيزنطى ميخائيل جلاباس Michael Glabas فى سالونيك عن التصدى لهجمات الصرب، وأرسل عدة رسائل للإمبراطور البيزنطى اندرونيق الثانى (١٢٨٢ - ١٣٢٨م) يعلن فيها فشله فى الحد من هجماتهم ويوصيه بالتفاوض معهم[15].

[8] قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية، الترجمة العربية، ص١٢٦.

[9] ليلى عبد الجواد: الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور هرقل، ص٣٣٠-٣٣٢.

[10] يقع فى مقدونيا ويمتد من مدينة سالونيك حتى مدينة ستروميكا.

[11] اوخريدا إحدى مدن مقدونيا وتقع على بحيرة اوخريدا.

[12] بريليب إحدى مدن مقدونيا كذلك.

[13] وانظر أيضاً: Bréhier, *Vie et Mort de Byzance*, p. 415
ناهد عمر صالح: «السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد اندرونيقوس الثانى باليولوجوس، ١٢٨٢-١٣٢٨م». دكتوراه غير منشورة، القاهرة ١٩٩٩ م، ص١٨٥.

[14] Gregoras, *Historiae Byzantinae, in CSHB*, vol. I, p. 202.

[15] Pachymeris, *Michael et Andronico Palaeologis, in CSHB*, vol. 1, p. 271-272.
وانظر أيضاً، ناهد عمر صالح: السياسة الخارجية، ص١٨٥.

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar. ʿABD AL-ĞAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)
709-742 / 1309-1341
ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ḫilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).

سنة ٧١٦ هـ «أنه اجتمع فى هذه السنة ثمانية رسل هم: رسل جوبان وأبى سعيد (مغول فارس)، وازبك وطغاى (مغول القفجاق)، وصاحب برشلونة (جيمس الثانى) وصاحب اسطنبول (الإمبراطور البيزنطى اندرونيق الثانى باليولوجوس ١٢٢٨-١٣٨٢م) وصاحب النوبة (كنز الدولة) وملك الكرج (جورجى السادس) وكلهم يبذلون الطاعة، ولم يتفق فى الدولة التركية مثل ذلك، فأكثر ما اجتمع فى الأيام الظاهرية (بيبرس) خمسة رسل»[٣].

وذكر المقريزى فى موضع آخر «اجتمع بمصر من رسل الملوك ما لم يجتمع مثلهم فى الدولة التركية وهم: رسل صاحب اليمن (الملك المظفر)، رسل صاحب اسطنبول (وهو اندرونيق الثانى) ورسل متملك سيس، ورسل أبى سعيد، ورسل صاحب ماردين (ايلغارى) ورسل ابن قرمان، ورسل ملك النوبة وكلهم يبذلون الطاعة»[٤].

كذلك شهد بلاط الناصر محمد رسل من قبل بابا روما، ومن فيليب الرابع ملك فرنسا، وسفراء السلطان محمد بن طغلق سلطان دهلى، وكذلك سفراء أبو زكريا اللحيانى صاحب تونس وغيرهم[٥]. لذلك لا عجب أن كاتب الصرب والبلغار الناصر محمد، وأرسلوا إليه رسلهم يخطبون وده ويطلبون نجدته ومساعدته، خاصة وقد ذاع صيته وملأ الآفاق ذكره.

وأول ما يتبادر إلى الذهن سؤال من هم هؤلاء الصرب والبلغار وما هى دوافعهم لمراسلة الناصر محمد ومكاتبته وطلب العون والمساعدة منه؟

أما عن الصرب فيذكر المؤرخ البيزنطى قسطنطين بورفيرجينيتوس أو قسطنطين السابع، إن كلمة الصرب تعنى فى لغة الرومان Servus أى السلاف Slaves بمعنى العبيد، وفى اللغة الدارجة تعنى Serbula وتقال للحذاء الحقير ولمن يرتدون حذاء رخيصًا قديمًا باليًا، واكتسب الصربيون هذه التسمية من كونهم عبيدًا Slaves لإمبراطور الرومان أى للإمبراطور البيزنطى[٦].

وسكن الصربيون فى بداية الأمر مكان يسمونه بويكى Boiki (أى بوهيميا)، ثم اتجهوا نحو الأراضى البيزنطية تاركين موطنهم الأصلى فى أقصى الشمال[٧]. وبدأ دور الصرب يظهر فى عصر الإمبراطور البيزنطى هرقل (٦١٠-٦٤١ م) حينما منحهم أرضًا

[٣] السلوك: جـ٢، ق١، ص١٦٣-١٦٤.

[٤] السلوك: جـ٢، ق١، ص٢٥٩.

[٥] لمزيد من التفاصيل عن وفود هؤلاء الرسل انظر، المقريزى: السلوك، جـ٢، ق٢، ص٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢.

[٦] قسطنطين السابع بورفيرجنيتوس: إدارة الإمبراطورية، ترجمة محمود سعيد عمران، ص١٢٦.

[٧] إدارة الإمبراطورية، الترجمة العربية، ص١٢٦. وانظر أيضًا: Lebeau, *Histoire du Bas-Empire*, t. XI, p. 38-39.

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar. ʿABD AL-ĞAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)
709-742 / 1309-1341
ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ḫilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).

ليلى عبد الجواد إسماعيل

علاقة الصرب والبلغار بمصر خلال سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة ٧٠٩-٧٤٢هـ / ١٣٠٩-١٣٤١م

من المعروف أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون تولى عرش السلطنة ثلاث مرات، كان فى الأولى والثانية لا يزال صبيًا صغيرًا، غضا نضيرًا، ولكن خلال سلطنته الثالثة ٧٠٩-٧٤٢هـ / ١٣٠٩-١٣٤١م) كان قد تخطى مرحلة الصبا إلى الشباب والقوة، واشتد عوده، واصقلته التجارب وحنكته الخبرات، وأصبح قادرًا على مواجهة الصعاب والتصدى للتحديات، التى اعترضت طريقه داخليًا وخارجيًا، فعلى الصعيد الداخلى ألغى النيابة والوزارة فى عام واحد وهو عام ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م، وصار السلطان الناصر محمد بن قلاوون يتحدث بنفسه فى الجليل والحقير من الأمور، وصار جميع العسكر من كبير وصغير فى قبضته، كما تذكر المصادر[١].

وطالت سلطنة الناصر محمد الثالثة حتى بلغت ٣٢ عامًا، نعمت مصر خلالها بالهدوء والاستقرار، وبلغت ذروة التقدم، والرقى والرخاء والعمران، واحتلت مكانًا عاليًا ومركزًا مرموقًا، نتيجة لما تحقق فى عهده من تفوق عسكرى، وازدهار اقتصادى وتقدم حضارى . لذلك سعت الدول إسلامية كانت أم مسيحية إلى كسب ود الناصر محمد، وإقامة العلاقات الودية معه، وعج بلاطه بالرسل والسفراء الذين جاءوا إلى مصر من كل صوب وحدب، جاءوا جميعًا يخطبون ود سلطانها، ويطلبون صداقته ومساعدته، ويعقدون معه المعاهدات، ويقدمون له الهدايا، فيذكر ابن اياس «وكاتبوه سائر الملوك من مسلم وكافر، وهادوه»[٢]. وأوضح المقريزى الصورة فى جلاء إذ يذكر فى حوادث

[١] المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جـ٢ بيروت بدون تاريخ، ص٢١٥؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٢، ق٣، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٧٢، ص٥٣٤؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جـ٩، طبعة دار الكتب، ص١٧٤؛ ابن اياس: بدائع الزهور، جـ١، ق١، تحقيق محمد مصطفى، فيسبان ١٩٧٥م، ص٤٨٢.

[٢] ابن اياس: بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٤٨٢.

AnIsl 35 (2001), p. 61-75 ar. ʿABD AL-ĞAWWĀD ISMĀʿĪL (Laylā)
709-742 / 1309-1341
ʿIlāqat Al-Ṣirb wa Al-Bulġār bi-Miṣr ẖilāl ṣalṭanat Al-Nāṣir Muḥammad bin Qalāwūn al-ṯāliṯa (709-742H / 1309-1341).